

الباب الرابع

ما أثاره الكشاف من نشاط فكري

همنا في هذا الفصل أمران : الأول نقد النقاد لتفسير الكشاف والأمر الثاني ما أثاره كشاف الزمخشري من نشاط عقلي . .

ولنعرض أولاً لنقد النقاد وليكن أولهم ابن خلدون الذي يرى : أن التفسير صنفان صنف نقلي والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان في معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب ، وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول بل هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة . نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي الحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجماهير من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان^(١) .

ويقول في موضع آخر مشيراً إلى منزلة الكشاف في البلاغة واللغة وأحوج ما يكون إلى هذا الفن - يقصد فن البيان - المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٢ - ٣٨٤ ط المطبعة البهية بمصر .

البلاغة ولأجل هذا يتحاماها كثير من أهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة فمن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه أو يعلم أنه بدعة فيعرض عنها ولا تضر في معتقده فإنه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشيء من الإعجاز مع السلامة من البدع والأهواء^(١) فابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) يرى أن للكشاف مزية البحث الفني في الإعجاز ولكنه ينعي عليه تسخيره مبحثه الجمالي لخدمة المذهب الاعترالي .

أما ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) فله رأى في التفاسير المذهبية ومن بينها تفسير الكشاف . فما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين تارة من العلم بفساد قولهم وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم أو جواباً على المعارض لهم ومن هؤلاء من يكون سنن العبارة فصيحاً ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله^(٢) . فابن تيمية يرى في تفسير الكشاف فصاحة سامية تدس البدعة والناس غافلون عنها .

وهذا تاج الدين السبكي الأشعري (ت ٧٧١ هـ) ينقد الكشاف بقوله : « اعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه ومصنفه إمام في فنه إلا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر النبوة كثيراً ويسمى أده على أهل السنة والجماعة والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله . ولقد كان الشيخ الإمام^(٣) يقرئه فلما انتهى إلى كلامه في قوله تعالى في سورة التكوير : (إنه لقول رسول كريم) الآية أعرض عنه صفحاً وكتب ورقة حسنة سماها « سبب الانكشاف عن إقراء الكشاف » وقال فيها : « رأيت كلامه على قوله تعالى « عفا الله عنك »

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠٨ .

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٢ .

(٣) هو والده تقي الدين السبكي ت ٧٥٦ هـ .

وكلامه في سورة التحريم والزلزلة وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة « فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار منقولاً ومعقولاً في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم دراسته في هذا الزمان ديدنها والقول عندنا فيه أنه لا ينبغي أن يسمح بالنظر فيه إلا لمن صار على منهاج السنة لا تترحمه شبهات القدرية^(١). وهذا النص يشهد للكشاف وصاحبه بعلو كعبه في فن التفسير ولكنه يطعن في اعتزاله وفي إساءته الأذنب في حق الرسول في مواضع من تفسيره ثم هو بعد يكشف لنا أن الكشاف كان مشغلة الأعاجم في القرن الثامن الهجري وما قبله . أما نظام الدين القمي النيسابوري^(٢) فيعلن في مقدمة تفسيره أنه يتضمن حاصل التفسير الكبير للرازي وجامع لأكثر التفاسير وجل كتاب الكشاف واحتوى مع ذلك على النكت المستحسنة الغربية مما لم يوجد في سائر التفاسير أما الأحاديث فإما من الكتب المعتمدة وإما من الكشاف والكبير إلا الأحاديث الموردة في الكشاف من فضائل السور فإننا قد أسقطناها لأن النقاد زيفوها إلا ما شذ منها . وأثبت القراءات المعتمدة . والوقوف المعللات ثم التفسير مع إصلاح ما يجب إصلاحه وإتمام ما ينبغي إتمامه من المسائل الموردة في الكبير ومع حل ما يوجد في الكشاف سوى الآيات المعقدات فإنه يوردها من ظن أن تصحيح القراءة وغرائب القرآن إنما يكون بالأمثال . كلا فإن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه^(٣) فنظام الدين ينقد صاحب الكشاف في استشهاده بالضعيف من الأحاديث وهي أحاديث فضائل السور كما يأخذ عليه أنه يجعل القراءة أصلاً في التفسير، وإن كان قد عول على تفسيره فيما عدا ذلك .

(١) معبد النعم ومبيد النعم لتاج الدين السبكي ص ١١٤ و ١١٥ ط ليدن سنة ١٩٠٨ م .

(٢) توفى في أوائل المائة التاسعة .

(٣) تفسير النيسابوري على هامش تفسير الطبري ج ١ ص ٤ - ٦ .

أما الشيخ حيدر (ت ٨٣٠ هـ) وهو تلميذ السعد التفتازاني فيصارعنا في حاشيته بنقده على الكشاف الذي يرى كل كتاب بعده في التفسير لو فرض أنه لا يخلو عن النقيير والقطمير إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة ولا تجد فيه شيئاً من الخلاوة إلا أنه لإخطائه سلوك طريق الأدب وتصلبه في باطل الاعتزال تكدرت مشاريعه الصافية وتضيقته موارده الصافية وتنزلت رتبته العالية منها : إنه كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية مضمونها لا يساعد هواه ومدلولها لا يطاوع مشتهاه صرفها عن ظاهرها بتكلفت باردة وتعسفات جامدة وصرف الآية بلا نكتة من غير ضرورة بل يبالغ في الإطناب والتكثير لثلاثي يومهم بالعجز والتقصير يكتفي بقدر الضرورة بل يبالغ في الإطناب والتكثير لثلاثي يومهم بالعجز والتقصير فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام والخفية التي لا تتسارع إليها الأوهام .

ومنها أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده ونعم ما قال الرازي في تفسير قوله تعالى : (يحبهم ويحبونه) خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن في أولياء الله تعالى وكتب منها (ههنا) ما لا يليق بالعاقل أن يكتب مثله في كتب الفحش فهب أنه اجترأ على الطعن في أولياء الله تعالى فكيف اجترأه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد .

ومنها أن مع تبخره في جميع العلوم على الإطلاق وتميزه بلطائف المحاوره ونفائس المحاضرة أورد آياتاً كثيرة وأمثالا غزيرة بنى على الهزل والفكاهة أساسهما . ومنها أنه يذكر أهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية بعبارات فاحشة فتارة يعبر عنهم بالمجبرة وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد وهذه وظيفة السفهاء الشطار لا طريقة العلماء الأبرار (١) .

فأخذ الشيخ حيدر على الزمخشري أنه معتزلي مؤول في التفسير طاعن على أولياء الله ورسله وأهل سنته مستشهد بأبيات بنى أصلها على فكاهة وهزل

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٤٨٢ و ١٤٨٣ .

والمقام مقام تفسير القرآن . ولا ندرى ما هى تلك الاستشهادات المبينة على الهزل . وهذا السيوطى يجادل علم الدين صالح بن السراج عمر البلقينى الشافعى (ت ٨٦٨ هـ) رأيه فى الكشاف : ويقدم السيوطى بين يدى ذلك الجدل رأيه هو فى الكشاف فى حاشيته «نواهد الأبيكار» على تفسير البيضاوى : بعد ذكر قدماء المفسرين : «ثم جاءت فرقة أصحاب النظر فى علوم البلاغة التى بها يدرك وجه الإعجاز وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة فلذا طار كتابه فى أقصى المشرق والمغرب . . . وقد نبه فى خطبته مشيراً إلى ما يعجب فى هذا الباب من الأوصاف ولقد صدق وبر ورسخ نظامه فى القلوب وقر» . وتعقبه البلقينى فى الكشاف قائلاً : «قصد الزمخشري بما أبان الإشارة إلى براعته فى علم المعانى والبيان وكيف يترجح فنان جمعهما أوراق يسيرة قد وضعها بعد الصحابة والتابعين وما على الناس من اصطلاح أتى به عبد القاهر واقتفاه السكاكى ولا يقوم لهما فى كثير من المقامات دليل وعلم التفسير وإنما يتلقى من الأخبار» . ويعقب السيوطى على ذلك فيقول : «لم يتوارد البلقينى والزمخشري على محل واحد وليس الزمخشري لانهحصار تلقى التفسير عن الأحاديث والآثار بمحاذ وإنما مقصوده أن القدر الزائد على التفسير من استخراج محاسن الفقر ولطائف المعانى التى تستعمل فيها الفكر وبيان ما فى القرآن من الأساليب لا يتبها إلا لمن برع فى هذين العلمين لأن لكل نوع أصولاً وقواعد لا يدرك فن بقواعد فن آخر والفقهاء والمتكلمين بمعزل عن أسرار البلاغة وكذا النحوى واللغوى وقد كان الصحابة يعرفون هذا المعزى بالسليقة فكانوا يعرفون بالطبع وجوه بلاغته كما كانوا يعرفون وجوه إعرابه ولم يحتاجوا إلى بيان النوعين فى ذلك لأنه لم يكن يجهلها أحد من أصحابه فلما ذهب أرباب السليقة وضع لكل من الإعراب والبلاغة قواعد يدرك بها ما أدركه الأولون بالطبع فكان حكم علم المعانى والبيان كحكم النحو»^(١) ويقول البلقينى أيضاً : استخرجت من الكشاف اعتراضاً بالمناقيش^(٢) .

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة ص ١٤٧٥ .

(٢) الإتيان للسيوطى ج ٢ ص ١٩١ .

فالباقين مع اعترافه ببراعة الزمخشري البلاغية غير أنه لا يعتبر علم البلاغة ويرى أن الزمخشري قد أخفى اعترالياته في تفسيره بما يحتاج معه إلى فطنة في الوقوف عليه .

وهذا معين الدين الأبيجي الصفوى (ت ٩٠٥هـ) نجده ينقد تفسير الكشاف في كتابه «جوامع التبيان في التفسير» . فيذكر أن ما يحتويه أكثر التفاسير يرى في هذا التفسير مع معان نفيسة صحيحة لم توجد في كثير منها . وكثيراً تجد الزمخشري ومن يحدوه أعرضوا عن المعنى المنقول عن الرسول والصحابة لعدم فهم مناسبة لفظية أو معنوية وإن نقلوها بأخر الأمر بصيغة التمريض لكن المسلك في تفسيرنا هذا الاعتماد على المعاني الثابتة عن أنزل عليه الكتاب وما نقلنا فيه شيئاً إلا بعد اطلاع وتتبع (١) . فعين الدين مأخذه على الزمخشري أنه في تفسيره ذومنهج عقلي أكثر منه متوسل بالنقل في التفسير . وفي الكشاف يقول شاعر أهل السنة ناقداً اعتزال الزمخشري واستنصاره بالحديث الضعيف وعباراته الخافية في أئمة المسادين :

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| ينيلك صفواً من معانيه رائقا | عليك بتفسير القرآن ودرسه |
| وكاشف به بغى الكرامات خارقا | ولا تعد عن كشاف شيخ زمخشر |
| مغطى خبيات تبتت حقائقا | فكشفت بالكشاف لاخاب سعيه |
| ولولا اغتيال الشيخ قد كان غارقا | لقد خاض بحراً ثم أبدى جواهرأ |
| وزلات سوء قد أخذن الخانقا | ولكنه فيه مجال لناقد |
| لمذهب سوء فيه أصبح مارقا | فيثبت موضوع الحديث تعصبأ |
| ولا سيما أن أولجوه المضائقا | ويشتم أعلام الأئمة ضلّة |
| لسوف يرى للكافرين مرافقا (٢) | لئن لم تداركه من الله رحمة |

وبعد فإن الناقد من أهل المغرب — إلا البلقيني — مجمعون على أن لتفسير

(١) معجم سركيس ج ١ ص ٥٠٠ و ٥٠١ .

(٢) كشف الظنون ص ١٤٨٤ ج ١ .

الكشاف مزية على سائر التفاسير تلك هي بحته الجمالى فى إعجاز القرآن وإن أخذوا عليه أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة . ويأخذون عليه كذلك أنه ينحرف بمعنى الآى ويورد ضعاف الأحاديث نصرة لمذهبه وتعصباً . ويحملون عليه لإساءته الأدب فى حق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحق أهل السنة . كما يطعنون فى استشهاده بأبيات الشعر - بصرف النظر عن موضعها - فى تفسير غريب القرآن وتصحيح القراءات فيه وأنه يتخذ من القراءات أساساً للتفسير .

أما أهل المشرق أو الأعاجم فقد اتخذوا - كما يقول تاج الدين السبكي - كتاب الكشاف موضوعاً لدراستهم لأن الاعتزال كما عرضنا لذلك قبل كان قد لجأ هناك بقلوله الباقية وكانت كتب المعتزلة الهائلة فى التفسير كلها قد ضاعت حتى إن علماء المعتزلة فى القرن السادس ألحوا على الزمخشري أن يؤلف لهم مؤلفاً فى التفسير فأجابهم إلى ما أرادوا وكان الكشاف . ثم لأن الزمخشري كان آخر مفسرى المعتزلة الإعلام الذين جاد بهم الزمن والذين سمعنا عنهم فى إقليم المشرق فلم يسد غيره بعده مسده . وأيضاً لأن الكشاف يمثل قمة نضج الزمخشري العلمى وكما نضج الأثر العلمى كلما كان شغل الناس وحثيتهم وهكذا كان الكشاف بين أهل المشرق بل المغرب أيضاً . ثم لأن الزمخشري موطنه المشرق فطبعى أن تنفق تأليفه العلمى بين أهل موطنه وهكذا نرى أن العصبية المذهبية للاعتزال ثم العصبية الإقليمى كانتا الدافع إلى ذبوع اسم الكتاب بين المشاركة هذا إلى ما لصاحب الكشاف من منزلة علمية سجلتها له تأليفه وقررها العلماء ممن اجتمعوا به أو ترجموا له وإلى نضج تفسيره العلمى .

* * *

ولقد كان كشاف الزمخشري مثار نشاط واسع المدى ينحصر فى مناقشات وحواش وتقريرات تدور حوله منذ القرن السابع حتى اليوم . وهنا نقدم دليلاً بين يدي البحث باستعراض أصحاب تلك الهوامش والتقريرات كما استطعنا

أن نلم بهم وواتت المراجع . والحق أن هذه المؤلفات كلها مظهر لحيوية الكشاف .
 ١ - فمن كتب على تفسير الزمخشري الإمام أحمد بن منير المالكي الإسكندري
 (ت ٦٨٣هـ) كتابه الانتصاف بين فيه ما تضمنه من الاعتزال وناقشه في
 أعراب وربما أطال في نقل كلام الزمخشري من غير كلام عليه إعجاباً به .
 ولعلم الدين العراقي (ت ٧٠٤هـ) كتاب سماه الإنصاف جعله حكماً بين
 الكشاف والانتصاف . وله أيضاً الانتصار للزمخشري من ابن المنير^(١) .
 وكتب قطب الدين الشيرازي (ت ٧١٠هـ) حاشية في مجلدين لطيفين
 على الكشاف^(٢) .

وصنف أبو علي عمر السكوني المغربي (ت ٧١٧هـ) كتاب التمييز
 لما أودعه الزمخشري من الاعتزالات في تفسير الكتاب العزيز تكلم فيه في الإمام
 فخر الدين وغيره بما لا يعاب به عالم كما ذكره السبكي^(٣) .
 ومن حواشي الكشاف حاشية شرف الدين الطيبي (ت ٧٤٣هـ) في
 ستة مجلدات سماها «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»^(٤) .
 وأكثر الإمام أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) في بحره من مناقشة الزمخشري في
 الإعراب . وتلاه تلميذه المشهور بالسمين والبرهان السفاقي في إعرابيهما .
 ولعل أفندي شلبي الشهير بقنالي زاده رسالة تتعلق بأجوبة السمين على
 اعتراضات شيخه أبي حيان على مواضع من الكشاف وهي خط بدار الكتب
 المصرية .

وكتب عمر الفارسي القزويني (ت ٧٤٥هـ) حاشية في مجلد^(٥) .

وكتب حاشية على الكشاف أحمد البخار بردي (ت ٧٤٦هـ) يوجد منها

(١) كشف الظنون لحاجي خليفة ص ١٥٣ ج ١ .

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٣) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٤) مخطوطة بدار الكتب المصرية .

(٥) بدار الكتب المصرية مخطوطة له اسمها تلخيص الكشاف وتحفة الكشاف في أربعة

مجلدات وهي ٢ و ٣ و ٤ و ٥ .

بدار الكتب المصرية الجزء الثانى ويبتدئ من سورة آل عمران وينتهى إلى آخر سورة الكهف .

ولخص الشيخ تاج الدين أحمد بن مكتوم (ت ٧٤٩ هـ) مناقشات شيخه أبى حيان مع ابن عطية والزنجشرى فى تأليف مفرد سماه الدر اللقيط من البحر المحيط .

والعلامة عماد الدين المعروف بالفاضل اليمنى (ت ٧٥٠ هـ) كتب حاشية فى مجلدين سماها درر الأصداف فى حل عقد الكشاف (١) وله حاشية أخرى ذكر فيها أنه لما وقف على حاشية الطيبي ووجد مذكوراً فيها ما ذكره صاحب الانتصاف وغيرهما أراد أن يجمع بين حاشية الطيبي ودرر الأصداف وسماها تحفة الأشراف فى كشف غوامض الكشاف (٢) .

واختصر جمال الدين عبد الله (ت ٧٦٢ هـ) الانتصاف من الكشاف لابن المنير وحذف منه ما وقعت الإطالة به من نقل كلام الزنجشرى على وجهه من غير كلام عليه إعجاباً به واستحساناً له وما قابل به الزنجشرى فى سبه أهل السنة بمثلها واقتصر جمال الدين على العقيدة الصحيحة .

وحاشية لقطب الدين التتحاتى الرازى (ت ٧٦٦ هـ) وعليها اعتراضات أورها جمال الدين محمد بن محمد الأقسراي وعليه محامات لعبد الكريم ابن عبد الجبار وصل فيها إلى أواخر الزهراوين (٣) وهناك حاشية تامة على الكشاف فى مجلدين للفاضل علاء الدين المعروف ببهلوان ناقش فيها مع القطب الرازى (٤) . وحاشية للعلامة أكمل الدين البابرئى (ت ٧٨٦ هـ) وصل فيها إلى تمام

الزهراوين .

وحاشية لسعد الدين التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) وهى ملخصة من حاشية الطيبي مع زيادة تعقيد فى العبارة وصل فيها إلى سورة الفتح (٥) .

- (١) خط بدار الكتب المصرية .
- (٢) خط بدار الكتب المصرية .
- (٣) خط بدار الكتب المصرية .
- (٤) خط بدار الكتب المصرية .
- (٥) خط بدار الكتب المصرية .

وحاشية للشيخ يوسف التبريزي (ت ٨٠٤ هـ) .

ولشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥ هـ) حاشية في ثلاثة مجلدات سماها الكشاف على الكشاف.

وكتب السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) حاشية وصل فيها إلى أواسط سورة البقرة وهناك حاشية للعلامة محمد بن إبراهيم الروسي الشهير بابن خطيب زاده على حاشية السيد الشريف على الكشاف وهو خط بدار الكتب المصرية .

وشرح خطبة تفسير الكشاف مجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) وسماه قطبة الحشاش لحل خطبة الكشاف ثم كتب ثانياً وسماه « نغمة الرشاف من خطبة الكشاف » (١) .

وللشيخ ولي الدين أبو زرعة العراقي (٨٢٠ هـ) حاشية في مجلدين تلخص فيهما كلام ابن المنير والعلم العراقي وأبي حيان وأجوبة السمين الحلبي والسفاسقي مع زيادة تخريج أحاديثه .

وعلى المولى برهان الدين حيدرأهروي (ت ٨٣٠ هـ) تلميذ السعد حاشية على حاشية السعد أجاب فيها عن اعتراضات السيد .

وكتب يوسف الحلواني (ت ٨٥٤ هـ) حاشية على الكشاف .

وحاشية للشيخ علاء الدين الشهير بمصنفك^(٢) (ت ٨٧١ هـ) .

والمولى علاء الدين المعروف بقوشجي (ت ٨٧٩ هـ) علق على أوائل حاشية السعد .

وكتب المولى علاء الدين الطوسي (ت ٨٨٧ هـ) حاشية .

وحاشية على الكشاف باسم « غاية الأمانى في تفسير الكلام الربانى »

(١) خط بدار الكتب المصرية .

(٢) خط بدار الكتب المصرية .

للمولى أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت ٨٩٣ هـ) أورد فيه مؤاخذات كثيرة على العلامة تين الزمخشري والبيضاوي (١) .

وكتب المولى محيي الدين الخطيب (ت ٩٠١ هـ) حاشية على حاشية السيد . وللمولى شيخ الإسلام بهراه يحيى المروري المعروف بالحفيد (ت ٩٠٦ هـ) حاشية على حاشية جده سعد الدين وأجاب أيضاً عن اعتراضات السيد وبلغ إلى أواسط سورة البقرة .

والعلامة شمس الدين المعروف بابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) وهو من أحسن تأليفاته وأكثر تعليقاته على السيد .

وحاشية للشيخ خير الدين العطوفى (ت ٩٤٨ هـ) .

وكتب حاشية المولى مهدي الشيرازي (ت ٩٥٦ هـ) .

والمولى أبو السعود العمادى (ت ٩٨٢ هـ) كتب حاشية على سورة الفتح

وسماها « معاقد الطراف في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف » .

وحاشية على أوائل الكشاف للمولى صنع الله المفتى (ت ١٠٢١ هـ) .

وحاشية لحامد بن مصطفى قاضي الأحكام الشرعية (ت ١٠٩٨ هـ) .

بمدينة سلانيك على تفسير سورة الأنعام من كتاب الكشاف للزمخشري وأنوار

التنزيل للبيضاوي (٢) . وهناك غير تلك حواشٍ أخر (٣) .

٢ - وقد اختصر كتاب الكشاف ناس كثير ون منهم :

على الطوسي (ت ٥٦١ هـ) اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع .

(١) خط بدار الكتب المصرية .

(٢) خط بدار الكتب المصرية .

(٣) منها مخطوطات بدار الكتب المصرية وهي ١ - الإتحاف بتميز ما تبع فيه البيضاوي

صاحب الكشاف تأليف الشيخ محمد بن علي الداودي . وفي كشف الظنون ج ١ ص ٤٨ أن هذا

الكتاب لابن يوسف الشامي . ب حاشية الرهاوي على الكشاف إلى آخر سورة آل عمران .

ج - غاية الإتحاف فيما خفي من كلام القاضي والكشاف تأليف الشيخ محمد بن أحمد المغربي المالكي .

د - كشف الكشاف وهو حاشية على الكشاف للزمخشري تأليف الشيخ عمر الهبائي الكتاني القزويني .

هذا وقد علق على بعض مواضع من الكشاف المولى كمال الدين المعروف بقره كمال من علماء

الدولة الفاتحية .

والشيخ محمد بن علي الأنصاري (ت ٦٦٢ هـ) أزال عنه الاعتزال .

وسيد المختصرات (كتاب أنوار التنزيل) للقاضي العلامة ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٩٢ هـ) لخصه وأجاد وأزال عنه الاعتزال وحرر واستدرك .

والعلامة قطب الدين الشقار (لعله قطب الدين الشيرازي) لخصه وأزال الاعتزال وسماه (تقريب التفسير) في مجلد صغير وأتمه سنة ٦٩٨ هـ . وعليه حاشية للأرزنجاني^(١) .

واختصر الكشاف أيضاً المولى مجد الدين المدعو بمولانا «زاده الحنفي» (ت ٨٥٩ هـ) .

وكذلك اختصر المولى عبد الأول الشهير بأم ولد (ت ٩٥٠ هـ)^(٢) .

٣- وتوافر آخرون على تخريج أحاديث الكشاف منهم الإمام جمال الدين عبد الله الزيلعي الحنفي (ت ٧٦٢ هـ) ولخص كتابه الحافظ شهاب الدين أبو الفضل بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) في كتاب سماه «الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف» في مجلد . واستدرك عليه في مجلد آخر .

٤- وشرح أبيات الكشاف جماعة منهم محب الدين أفندي وشرحه موجود بين أيدينا .

٥- ومن أفرد في نقد تفسير الكشاف تأليفاً الشيخ تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ) وسماه سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف .

٦- كما صار الكشاف مستقى يرده المفسرون إذ يبغون التفسير والتأليف فيه : فالإمام أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري له كتاب

(١) بدار الكتب المصرية مخطوطة باسم (التقريب في التفسير) وهو مختصر الكشاف للزحشري تأليف الشيخ قطب الدين محمد بن سعيد بن مسعود السيراني . فلعل (الشيرازي) تصحيف (السيراني) ؟

(٢) هناك ملخص آخر مخطوط للكشاف بدار الكتب المصرية باسم (إعراب القرآن) لم يعلم مؤلفه .

« الإنصاف في الجمع بين الثعلبي والكشاف » وهو تفسير كبير جمع فيه بين تفسير الثعلبي والكشاف .

وكتاب « مختصر الراشف من زلال الكاشف من التفاسير » للشيخ الإمام بدر الدين محمد المقرئ الحلبي المعروف بالقاذفي (ت ٧٠٥ هـ) اختصره من الكشاف مع المحاكمات من فوائد أبي العباس أحمد المهدي ومن كتاب أبي الليث السمرقندي ومن الكشف والبيان للثعلبي .

وتفسير العماد الكندي (ت ٧٢٠ هـ) قاضى إسكندرية النحوي المعنون : « كفيل بمعاني التنزيل » وهو تفسير ضخم في ثلاثة وعشرين مجلداً كبيراً وطريقته فيه أن يتلو الآية أو الآيات فإذا فرغ منها قال : قال الزمخشري ويسوق كلامه فإذا انتهى أتبعه بما عليه من مناقشة وما يحتاج إليه من توجيه وما يكون هناك من الزيادات الواقعة في غير الكشاف من التفاسير وأكثر نظره فيه النحو فإنه كان متقدماً في معرفته .

ويقول نظام الدين القمي النيسابوري (انتهى من تفسيره سنة ٧٢٨ هـ) في مقدمة تفسيره : « وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير للرازي وجامع لأكثر التفاسير وجل كتاب الكشاف . . . » .

وتفسير الأصبهاني المشهور وهو العلامة شمس الدين أبو الثناء الشافعي (ت ٧٤٩ هـ) تفسير كبير بالقول في مجلدات جمع فيه بين الكشاف ومفاتيح الغيب للإمام الرازي .

ولشمس الدين بن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ) تفسير سورة الملك . وفيه تأليف فارسي منتخب من التيسير والكشاف والكواشي لكنه مع الفاتحة .

ولأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ) « إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم » ويعرف بتفسير أبي السعود . جمع فيه بين درر الكشاف وغرر أنوار التنزيل وأضاف إلى ذلك ما لقيه في تصانيف الكتب من جواهر الحقائق وللشيخ الفاضل السيد محمد الخوشاني المعروف بالواني أفندي (ت ١٠٩٦ هـ)

مؤلف في قصص الأنبياء ذكر فيه من تفسير البيضاوي وحواشيه والكشاف وحواشيه .

وهناك تفسيران نجهل تاريخ وفاة صاحبيهما أحدهما « مجمع الألفاظ في الجمع بين لطائف البسيط والكشاف » لأبي الفضائل أحمد التبريزي وهو في خمسة مجلدات . وثانيهما « فرائد التفسير » لأبي المحامد فصيح الدين المابرناباوى اختصر فيه الكشاف وزيادات بحثية نحوية وكلامية .

وقد تعقب الإمام المشهور في فلسفة الدين والكلام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب أهم الاستنتاجات لمدرسة المعتزلة — وبالطبع من بينها استنتاجات صاحب الكشاف — وردها واقعة بعد أخرى^(١) فالرازى إذن وهو سنى ينافح عن رأيه ضد المعتزلة ومن بينهم الزمخشري في ميدان التفسير .

٧ — كذلك أثار (الكشاف) عالماً بلاغياً فدفعه إلى أن يخرج إلى عالم التأليف مؤلفاً في علمي المعاني والبيان . ذلكم هو الإمام يحيى بن حمزة العلوى البغى (ت ٧٤٩ هـ) صاحب كتاب الطراز الذى يقرر في مقدمة كتابه : أن الباعث على تأليف هذا الكتاب هو أن جماعة من الإخوان شرعوا على في قراءة كتاب (الكشاف) تفسير الشيخ العالم المحقق أستاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري فإنه أسسه على قواعد هذا العلم فاتضح عند ذلك وجه الإعجاز من التنزيل وعرف من أجله وجه التفرقة بين المستقيم والمعوج من التأويل وتحققوا أنه لا سبيل إلى الاطلاع على حقائق إعجاز القرآن إلا بإدراكه والوقوف على أسراره وأغواره ومن أجل هذا الوجه كان متميزاً عن سائر التفاسير لأنى لم أعلم تفسيراً مؤسساً على علمي المعاني والبيان سواه فسألنى بعضهم أن أملئ فيه كتاباً يشتمل على التهذيب والتحقيق فالتهديب يرجع إلى اللفظ والتحقيق يرجع إلى المعاني إذ كان لا مندوحة لأحدهما عن الثانى^(٢) .

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن بلولده تسيير ص ١٢٢ و ١٢٣ ط العلوم بالقاهرة

سنة ١٣٦٣ هـ .

(٢) الطراز ليحيى بن حمزة العلوى البغى ج ١ ص ٥ .

هذا ولا يزال كتاب الزمخشري إلى اليوم المبحث التفسيري الوحيد
 — فيما نعلم من قديم — الذى يعرض لبلاغة القرآن على نطاق عملى واسع كما
 أنه لا يزال مستقى المفسر إذ يفسر . وحديثاً نجد منهجاً فى التفسير الأدبى
 للقرآن أصله أستاذنا أمين الخولى^(١) وطبقته من بعد بنجاح الدكتورة عائشة
 عبد الرحمن فى تفسيرها البيانى للقرآن^(٢) .

(١) انظر مادة تفسير بقلم أمين الخولى فى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة .

(٢) طبعة دار المعارف طبعتين .

خاتمة

والآن لنجمع شتات البحث. رأينا أن الزمخشري كان ابن بيته ؛ البيته الدينية المعتزلية وهو كأحد المعتزلة اعتنق كما اعتنقوا مبادئ فلسفية تعصبوا لها ونسبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته فالاعتزال عندهم هو الإسلام خالصاً وقد جعل الزمخشري من تفسيره الكشاف بعد إذ ضاعت ثروة المعتزلة في التفسير وفي وقت أفل فيه نجم المعتزلة إلا في المشرق - جعل من تفسيره ميداناً للدعوة إلى مذهبه والمظاهرة له ثم هو بعد مرآة لعلم صاحبه وفي هذا الموجز نفرّد ما توصلنا إليه من نتائج في البحث وسنقسم هذا الموجز قسمين نخصص أولهما لمنهج الزمخشري في التفسير ونقارنه بغيره من مناهج التفسير وثانيهما لمبحثه في بيان إعجاز القرآن .

منهج الزمخشري في تفسير القرآن :

١ - الزمخشري في الكشاف مفسر معتزلي مؤمن بالعقل مقدس له يجعله آله إذ يفسر :

(أ) فراه يقف أمام النص وقفة عقلية يكد فيها ذهنه مستنبطاً المعاني منقياً عنها ويجيء للمعنى الآية بأكثر من وجه تفسيري .

(ب) وهو يجول بعقله في النص القرآني باحثاً عن تآلف معاني ألفاظ الآية الواحدة وتآخيها .

(ج) يتعدى الزمخشري العناية بنسق الآية المعنوي إلى نسق القرآن المعنوي كله فالمعاني القرآنية كل متناسق متجاوب .

(د) جارى الزمخشري الفقهاء في استنباط بعض الأحكام من القرآن ليدلّل بها على آرائه إن في العلم أو في الدين وذلك حين تقليبه النص على وجوه المعنوية المختلفة .

٢ - يقف الزمخشري أمام ظاهر بعض الآي التي يناصر معناها القريب المكشوف آراء المعتزلة ومبادئها فيجعلها محكمة وتلك التي يخالف ظاهرها أصول الاعتزال يجعلها متشابهة ثم يحاول بفنون محاولات أن يلين معنى تلك الآي المتشابهة لتطوع للاعتزال وتنصر مبادئه وهو بهذا يدير معاني الآي القرآنية كلها حول الاعتزال ومسانئه :

(أ) فيستخدم ثقافته المنطقية ورياضته العقلية في تشقيق معنى الآية إلى أكثر من وجه تفسيري والكل بعد متعاون على خدمة الاعتزال .

(ب) يستجاب القراءة التي يعين ظاهر معناها الاعتزال ويخضع تفسير الآي المتشابهة لمعناها .

(ج) ذلل اللغة للاعتزال فحمل الألفاظ ما لا تحتمله من معان لم تعرفها العرب حين نزل القرآن فيهم ؛ لينصر الاعتزال .

(د) استعان الزمخشري حذقه في علمي المعاني والبيان فأخضع نظم الآي المتشابهة للمعنى الاعتزالي بأن عد تلك الآيات من باب المجاز أو الاتساع اللغوي في التعبير .

(هـ) في تلك الآي - التي يعدها من باب المتشابهة - سخر الزمخشري النحو خادماً للرأى الاعتزالي وتعسف في إعراب الآي وتمحل .

(و) استنصر بأضعف الأحاديث الموضوعية لنصرة مذهبه فيما يفسر من الآيات وإذا ما عارض الحديث أصلاً من أصول الاعتزال شك فيه ثم أوله - إن افترض صحته - ودلل لتأويله بأي محكمة من القرآن .

٣ - في الآي التي لا يمس معناها الاعتزال ولا مبادئه نرى الزمخشري يسير في تفسيرها على نهج المفسرين الأثرين التقليين :

(أ) فيجىء بالأسباب المعينة على تجلية معنى النص وتفسيره فيورد أسباب النزول والناسخ والمنسوخ إما عارضاً فحسب أو ناقداً .

(ب) ويفسر القرآن بالقرآن تفسيراً ظاهرياً قريباً أو يفسره بأحاديث الرسول

والصحابة وهو قل أن يقف من تلك التفسير الأثرية موقف الناقد الفاحص .

(ح) في التفسير القصصى النقلى تسمح الزمخشري بكل نقل أو رواية ولو كانت أشبه بالأسطورة والخيال ما دامت لا تمس عقيدة أو تضار رأياً اعتزاليّاً أو تطعن في عصمة نبي وإلا فإنه يزيفه ويأباه .

٤ - (ا) يعرض الزمخشري للفظ القرآنى فى الآى المحكمة عرضاً عرفته العرب فى معانى منطقتها .

(ب) ويفسر اللفظ القرآنى بسماعياته من العرب .

(ج) وسع استشهاده اللغوى فاستشهد بالمحدثين كأبى تمام .

(د) حاول لمح الأصل الحسى للفظ القرآنى .

(هـ) فرق فى معالجه للفظ القرآنى بين المترادفات تفرقة معنوية دقيقة .

(و) حاول تذوق المعنى الذى يلقى به الجرس الصوتى للفظ القرآنى .

٥ - والزمخشري النحوى حين يعالج إعراب الآى التى لا تدخل حيز

الجدل الكلامى الاعتزالى :

(ا) فإنه يجعل هم المعنى حيناً كان هناك تقدير إعرابى فرعايته للمعنى أولاً وقبل رعايته للصناعة النحوية .

(ب) تمتد رعايته نسق المعنى فى الآية الواحدة إلى نسقه فى القرآن كله فيفضل الوجه النحوى الذى يتفق والمعنى القرآنى .

(ج) استغل النحو فى الدفاع عن القرآن من طعن الطاعنين فيه .

٦ - والزمخشري يستعين بالقراءة على التفسير :

(ا) فهو يوردها ليقوى بها تفسيره ويعضده .

(ب) يبين الفرق اللغوى بين القراءات وما يستتبع ذلك من اختلاف معنى

الآى .

- (ح) يستبطن معنى قراءة بعينها مجيلاً عقله وفكره في معانيها المحتملة كاشفاً بذلك عما وراء آى القرآن من ثروة معان .
- (د) القراءة المفضلة عنده تلك التى تجرى والنسق المعنوى فى مضمار والتى تحفظ على الأسلوب القرآنى جماله وقوة معناه .
- (هـ) وهو يرى أن ضبط القراءة بحاجة إلى أهل النحو فكل قراءة لا تضطرد والقاعدة النحوية فإنه يزيها ويرفضها .

٧ - والزمخشري حين يعرض مفسراً لآى التشريع فى القرآن :

- (ا) نراه يستعرض عندها الآراء الفقهية إما عارضاً أو ناقداً .
- (ب) يثير نقاشاً فقهياً أمام الآية يخدم تفسيرها ويلبى الضوء على معناها .
- (ج) يحلل تلك الآى تحليلاً فقهياً .
- (د) يكشف عن الحكمة فى التشريع الوارد بالآية مقرباً بذلك معنى الآية إلى العقول ومجلياً لتفسيرها .

٨ - والزمخشري أديب ذواقة نلمح ذلك من ثنايا تفسيره :

- (ا) فهو يحيا بحسه وروحه فى النص القرآنى ثم يعود إلينا وقد لملح معانى نفسية استشفها من باطن النص من طول ألفه له .
- (ب) وهو يجيء بالشعر المضمن معنى الآى الذى يفسر .
- (ح) وثقافته الأدبية تدفعه إلى أن يستطرد استطرادات قد تخدم تفسير الآية أولاً .

٩ - والزمخشري يرى أن تفسير القرآن درس عملى للتربية الروحية :

- (ا) فهو يستخرج منه الدروس والعظات مفيداً من تجاربه فى الحياة .
- (ب) أو ناقداً للأحوال الاجتماعية فى عصره .
- (ح) وقد يدفعه حماسه للعة إلى أن يستشهد بحديث ظاهره موهم بالتجسيم . وهذا المنهج فى التفسير بنقاطه تلك نحب أن نضعه فى إطار وبعض المناهج الأخرى فى التفسير لنستبين مدى التقارب والتباعد بينها . وليكن أولاًها :

المنهج اللغوي :

ويمثل هذا المنهج - في رأينا - أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى ٢٠٩ هـ) وهو يرسم منهجه في تفسير القرآن في مقدمة كتابه « مجاز القرآن » إذ يقول : قالوا إنما أنزل (بلسان عربي مبين) [الشعراء ١٩٥] ومصداق ذلك في آية من القرآن وفي آية أخرى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) [إبراهيم ٤] فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن واستغنوا بعملهم عن المسئلة عن معانيه وعمما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب والغريب والمعاني . . . (١) فهو إذن يبغى تفسير القرآن بعرض أسلوبه ومعانيه على أسلوب ومعاني منطق العرب وسينهج في ذلك نهجاً صارماً لن يجيد عنه . ظلان يقابلهما قارئ كتاب الحجاز أسلوب القرآن وأسلوب العرب .

١ - نراه يبحث في البيان القرآني يقول في الآية : (أتجعل فيها من يفسد فيها) [البقرة ٣٠] جاءت على لفظ الاستفهام والملائكة لم تستفهم ربها وقد قال تبارك وتعالى : إني جاعل ؛ ولكن معناها معنى الإيجاب أى أنك ستفعل وقال جرير فأوجب ولم يستفهم لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب : ألست الفاعل كذا . ليس باستفهام ولكن تقرير (٢) .

٢ - وحين يعرض للنحو القرآني نراه لا يعرض للإعراب لذات الإعراب ولكن من ناحية صلته بالبيان القرآني مستنصراً على ذلك . بالشاهد من كلام العرب . فعند الآية : (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله) [النساء ١٦٢]

(١) ورقة ٣ من مجاز أبي عبيدة . (خط) وصححت بمقابلتها بورقة ٨ من نفس المخطوطة .

(٢) ورقة ١٣ من مجاز أبي عبيدة .

يقول : العرب تخرج من الرفع إذا كثُر الكلام إلى النصب ثم تعود بعد إلى رفع
قال خرنق :

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر (١)

٣ - وهو لا يلمح في القراءات إلا الصورة اللغوية فيرى أن اختلاف
القراءات انعكاس لاختلاف اللغات ومن ثم فهي صور من البيان العربي
ولا يقف عند تلك القراءات إلا ليفسر اللفظة المستدعية للقراءات تفسيراً لغوياً :
(أ) فهو يعرض للقراءات المختلفة في اللفظة والمعنى باق كما هو : يقول
أبو عبيدة في مقدمة المجاز :

« ومجاز ما قرأته الأئمة بلغاتها فجاء لفظه على وجهين وأكثر من ذلك :
قرأ أهل المدينة (فيم تبشرون) [٥٤ الحجر] بغير نون المضاف بلغتهم .
وقال أبو عمرو لا يضاف يبشرون إلا بنون للكناية تبشرونى » .

(ب) ويعرض للقراءة الواحدة ومعناها بحسب اللغات مختلف : يقول « ومن
مجاز ما جاءت له معاني غير واحد مختلفة فتأولته الأئمة بلغاتها فجاءت
معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك قال : (وغدوا على حرّدي
قادرين) [٢٥ القلم] ففسر على ثلاثة أوجه : قال بعضهم على قصد .
وقال بعضهم على منع . وقال آخرون على غضب وحقد » .

(ج) وعرض للقراءات المختلفة ذات المعاني المختلفة أيضاً . يقول : ومن مجاز
ما جاء على لفظين فذلك لاختلاف قراءات الأئمة فجاء تأويله شتى
فقرأ بعضهم قوله : (إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا) [٦ الحجرات]
وقرأها آخرون فتشبتوا (٢) .

٤ - وفي معالجته اللغوية للألفاظ القرآنية نراه يعرضها على ألفاظ العرب
ومعاني منطقتها ويفسرها بها ولا يحمل اللفظة معاني جاء بها تطور الزمن يقول

(١) ورقة ٣٩ من مجاز أبي عبيدة .

(٢) ورقة ٦ من مجاز أبي عبيدة .

في الآية : (فهم يُوزَعون) [١٧ النمل] أى يدفعون فيستحث آخرهم
ويحبس أولهم . وفي آية أخرى : (أوزعنى أن أشكر نعمتك) [١٩ النمل]
مجازه شددنى إليه ومنه قولهم وزعنى الحلم عن السفاه أى منعنى ومنه قولهم :
على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألمأ تَصْحُ والشيب وازع
ومنه الوزعة الذين يدفعون الخصوم والناس عن القضاة والأمرأ^(١) .

وأبو عبيدة ندر أن يستشهد بحديث للرسول أو ينقل لصحابى والطبرى ينعته
بأنه ضعيف المعرفة بتأويل أهل التأويل قليل الرواية لأقوال السلف من أهل
التفسير^(٢) في الوقت الذى نجد معاصراً له من رجال النحو واللغة وهو الفراء
يحرص على أن يثبت بجانب التفسير اللغوى تفسير المفسرين النقليين وإن كان
المقدم عنده التفسير اللغوى يقول الفراء في الآية : (وزُخِرْفاً) . [٣٥ الزخرف]
وهو الذهب وجاء في التفسير ونجعلها لهم من فضة ومن زخرف^(٣) ويقول
الفراء أيضاً في الآية : (وحاق بهم . .) [٢٦ الأحقاف] وهوى كلام
العرب عاد عليهم وجاء في التفسير أحاط بهم ونزل بهم^(٤) .

وبعد الفراء نرى الزجاج وإن مال إلى المنهج اللغوى إلا أنه حريص على
إثبات التفسير المروى ، يقول الزجاج عند قوله جل وعز : (وإن يكاد الذين
كفروا ليزلِقُونَكُ بأبصارهم) [٥٢ القلم] . . وهذه الآية تحتاج إلى فضل إبانة
في اللغة فأما ما روى في التفسير فروى أن الرجل من العرب كان إذا أراد أن
يعتاق شيئاً أى يصيبه بالعين تجوع ثلاثة أيام ثم يقول للذى يريد أن يعتاقه
لا أرى كاليوم إبلا وشاء وما أراد ، المعنى لم أر كإبل أراها اليوم إبلا فكان
يصيبه بالعين . فأما مذهب أهل اللغة فالتأويل أنهم من شدة إبغاضهم لك
وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك . وهذا مستعمل في الكلام

(١) ورقة ١٢٧ من مجاز أبي عبيدة .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٤٤ و ٤٥ .

(٣) معانى القرآن للفراء ورقة ٢٤ مخطوط .

(٤) معانى القرآن للفراء ورقة ٣٦ .

يقول القائل نظر إلى فلان يكاد يصرعني به ونظراً يكاد يأكلني منه وتأويله كله أنه نظر إلى نظراً لو أمكنه أكلني أو أن يصرعني لفعل وهذا واضح والله أعلم^(١). وكان المنهج أبي عبيدة اللغوي هذا دون نظر إلى مآثور أو منقول كان له أثر مضاد عند الطبري إذ نزع الطبري في تفسيره منزعاً يخالف أبا عبيدة ويضاده - كما سيأتي - وقد أفسح الطبري في كتابه مواضع كثيرة لنتقد أبي عبيدة في مجازه ومهاجمته^(٢).

على كل حال فأبو عبيدة يمثل المنهج اللغوي الخالص الذي يعرض لغة القرآن وأسلوبه على لغة العرب وأسلوبها دون رعاية لتفسير أثري أو نقلي وإذا كان تفسير الزمخشري تفسيراً عقلياً يكاد الذهن في معاني الآي ويشقق تلك المعاني تشقيقاً فإن المنهج اللغوي يتناول المعنى القرآني من الظاهر تناولاً خفيفاً ويلمسه لمساً رقيقاً في دائرة البيان العربي. وإذا كان منهج الزمخشري في تناول معنى الآي المتصلة بأراء المعتزلة هو تحميل اللفظة القرآنية من المعاني ما لا تحتمله فإن المنهج اللغوي حريص على أن يعطي اللفظة القرآنية المعنى الذي لها والذي عرفته العرب في منطق كلامها حين نزل القرآن فيهم مستدلاً بالشعر أو النثر أو ما أثر عن العرب من تعبير. وهذا لا يعني أن الزمخشري لا يتبع هذا المنهج اللغوي في تفسيره فالرجل لغوي متبع لمذاهب اللغويين في تناولها للنصوص ومعالجة تفسيرها إلا أن حديثنا في الطابع الغلاب على تفسيره وهو الطابع العقلي الكلامي.

وثاني المناهج هو :

المنهج التأويلي الباطني :

لقد قدر للتفسير أن يخضع لعاملين قويين أحدهما العقل الذي يجمع ولا يخضع لعاطفة وهو سمة تفاسير العقليين المتكلمين وثاني العوامل العاطفة التي لا تخضع لعقل ولا منطق وهي طابع التفسير الصوفي. اتخذ الصوفية

(١) مخطوط معاني القرآن للزجاج ورقنا ١٦١ و ١٦٢ .

(٢) مثلاً تفسير الطبري ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ و ١٠٩ . . . إلخ

الإدراك الذوقى الذى لا أثر للعقل فيه آلة المعرفة واستطاعوا أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة فى القرآن تخفى وراءها معنى باطناً لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعانى فى قلوبهم فى أوقات وجدهم^(١) ورأى الصوفية أن معانى القرآن لا حصر لها وهى تنكشف لكل صوفى بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحى ولهذا لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة ولا كان لهم مذهب محدود يصح أن نسميه مذهب التصوف . بل إن التعريفات العديدة التى وضعت للفظ التصوف نفسه لتدل على تعدد وجوه النظر فى فهم معناه^(٢) .

ومحاولتنا هنا هى تناول تفسير من أقدم التفاسير الصوفية وهو تفسير التسترى (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ) ونتخذة أنموذجاً لهذا المنهج التأويلى الباطنى الذى يفيض من فهمه الروحى وكشفه الوجدانى معانى على تفسير القرآن يشرح التسترى فى تفسيره منهج الصوفية فى التفسير إذ يقول : . . . ما من آية فى القرآن إلا ولها أربعة معانٍ : ظاهر وباطن وحد ومطلع ؛ فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحلد حللها وحرامها والمطلع لإشراف القلب على المراد بها فقهاً من الله عز وجل ؛ فالعلم الظاهر علم عام والفهم لباطنه والمراد به خاص^(٣) أن الله تعالى ما استولى ولياً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا علمه القرآن إما ظاهراً وإما باطناً . قيل له : « أى لسهل التسترى » إن الظاهر نعرفه فالباطن ما هو ؟ قال : فهمه وإن الفهم هو المراد . قال أبو بكر السجزي : سمع منى هذه الحكاية البخيد فقال مهمل : كان عندنا بيغداد عبد أسود أعجمى اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب وهو لا يحفظ القرآن وتلك دلالة ولايته . . .^(٤) ولو أن عبداً أعطى لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية علم الله منه

(١) فى التصوف الإسلامى لنيكولسون تعريب أبو العلا عفيفى ص ٧٦ .

(٢) فى التصوف الإسلامى لنيكولسون تعريب أبو العلا عفيفى ص ٧٦ .

(٣) تفسير التسترى ص ٣ طبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ .

(٤) تفسير التسترى ص ٧ .

لأنه كلامه القديم وكلامه صفته ولا نهاية لصفاته كما لا نهاية له وإنما يفهم على قدر ما يفتح الله على قلوب أوليائه من فهم كلامه^(١).

والتسرى يسير في تفسيره على هذا المنهج فيقدم تفسيرين أحدهما تفسير ظاهري عام والثاني تفسير باطنى خاص فيقول في الآية: (لتنذر أم القرى ومن حولها) [٧ الشورى] ظاهرها مكة وباطنها القلب ومن حوله الجوارح فأنذرهم لكي يحفظوا قلوبهم وجوارحهم عن لذة المعاصى واتباع الشهوات^(٢) ويقول في الآية مفسراً بتفسير باطنى خاص فحسب: (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار) [١٤٨ الأعراف] عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس^(٣).

ذلك إذن هو منهج الصوفية منهج سابح في الوجدان ينظر إلى القرآن من خلال العاطفة الجاحمة وتلك المعانى التى يفيضونها على القرآن معان صحيحة ولكن القرآن لا يدل عليها. وإن لم تسلّم أقوالهم من باطل كما يقول ابن تيمية^(٤).

وهذا المنهج التأويلى الباطنى يتفق ومنهج الزمخشري العقلى فى أن كليهما لا يتلبث عند ظاهر النصوص بل يستبطنان معانيها ويتدبرانها وإن اختلف تناولهما للنص واستشفاف معناه فالصوفى يتناوله بدوقه الروحى والزمخشري المعتزلى يتناوله بعقله المنطقى الكلامى. ثم كلاهما أيضاً يدير معانى الآى على آراء وأفكار اعتقدها وآمن بها فالصوفى له آراؤه ونظرياته وأفكاره والكلامى له أصوله ومبادئه ومسائله وتلك الأصول والآراء كلها قد استدلوها بالقرآن وأيدوها بنصوصه وآيه.

(١) تفسير التسرى ص ١٩١ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٢٨ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٠ .

(٤) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٤ .

وثالث المناهج .

المنهج القصصي :

١ - حاول هذا المنهج أن يعرف تفصيل كل شيء في القرآن فانطلق بخياله إلى بدء الخليقة ليفسر الظواهر الطبيعية . لم الرعد ؟ نظر سبحانه وتعالى إلى الماء فغلي وارتفع منه زبد ودخان وأرعد من خشية الله فن ذلك اليوم يرعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان)^(١) [فصلت] وانطلق الخيال القصصي ليعرف صفة خلق حواء^(٢) وصفة نفخ الروح^(٣) وأراد الخيال القصصي ليحيط خبراً بما وراء هذا العالم من أسرار الله الملائكة الجن . . فيروي جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : في العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى : (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه)^(٤) [الحجر] وعرض هذا الخيال لرؤية موسى لله وكيفية التجلي^(٥) وأثر الرؤية في بصر موسى^(٦) وحاول المنهج القصصي أن يعلل للتشريع الإسلامي تعليلاً قصصياً . تقول رواية القصصيين عن تعليم جبريل لآدم الزراعة ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان وحواء حبة فمذ لك صار للذكر مثل حظ الأنثيين^(٧) وطمع المنهج القصصي أن يدرك معرفة كل شيء في القرآن أفاد أولاً ؛ فعلل لتسمية الأنبياء وقراهم تعليلاً قصصياً ؛ فمثلاً إسرائيل سمي

(١) العرائس للثعلبي ص ٤ .

(٢) العرائس للثعلبي ص ٣٠ .

(٣) العرائس للثعلبي ص ٢٨ .

(٤) العرائس للثعلبي ص ١٥ .

(٥) العرائس للثعلبي ص ٢٠٨ .

(٦) العرائس للثعلبي ص ٢١٤ و ٢١٥ .

(٧) العرائس للثعلبي ص ٣٩ .

كذلك لأنه أول من سرى بالليل^(١) وطمع المنهج القصصى أن يعرف ما شجرة الحنطة^(٢) ؟ وما الأسماء التي علمها الله لآدم^(٣) ؟ وما موضع قتل هابيل^(٤) ؟ وعدد الدراهم التي بيع بها يوسف . . إلخ^(٥) .

ما موقف الزمخشري من هذا المنهج القصصى في التفسير ؟ — لقد كان يتوقع منه — أن يقف من التفسير القصصى للقرآن موقف الناقد ولكننا — على العكس — وجدناه متساعماً لا يرى بأساً بإيراد أسطورة أو خرافة أو قصة غير مستيقنة ما دامت لا تطعن عصمة نبي أو تخالف رأياً اعتزالياً وبذلك كان موقفه من التفسير القصصى متناقضاً مع منهجه العقلي الذي اتخذه في التفسير .

٢ — وحين يقبل الناس على الدنيا يغترزون من لذائذها في بهيمية وحيوانية تكون العظة من الواعظين فقول لهم في قصص العقاب الذي ينتظر المسيئين في الآخرة وتذكيرهم بما حدث للسلف من الطاغين وصفة عذابهم ثم تشوق النفس الزاهدة المحرومة في دنياها إلى ما ينتظرها من نعيم في الآخرة وهنا تلعب المعادن النفيسة والمغيبات من ملائكة وحيوان وحور وولدان أدوارها في المنهج القصصى ففي الأرض الرابعة حجارة الكبريت التي أعدها الله لأهل النار لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت وهي التي قال الله تعالى فيها: (وقودها الناس والحجارة)^(٦) [٢٤ البقرة] وقعر الأرض يتجلجل فيه قارون فلا يبلغه إلى يوم القيامة^(٧) ويصف سعيد بن جبير نخل الجنة فيقول: « نخل الجنة كرمها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم . . . إلخ . . . »^(٨) .

- (١) العرائس للشعبي ص ١٠٩ .
- (٢) العرائس للشعبي ص ٣٠ .
- (٣) العرائس للشعبي ص ٢٩ .
- (٤) العرائس شعبي ص ٤٦ .
- (٥) العرائس للشعبي ص ١٢١ .
- (٦) ، (٧) العرائس للشعبي ص ٦ و ٨ على الترتيب .
- (٨) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٤ ص ٢٨٧ .

والزخمشرى في عظته ليس يلقى بالعظاات الحافة والنصائح الجامدة أو القصص المتخيلة ولكنه يربى روحياً بأن يربط العظة بأحداث الحياة وتجاربه مع الزمن ولذلك فإن عظاته مكتسبة حيوية الواقع متمشية مع مترعه العقلى المنطقى فى التفسير . غير أنه لن يرغب فى الجنة ويتفاعل كالمثقالين من القصصيين المتخيلين لأن المعتزلة متشائمين بالنسبة لليوم الآخر . فشخصيته الاعتزالية هنا واضحة ظاهرة وهو محذر ميمس أكثر منه مرغباً مبشراً .

وأما رابع المناهج فهو .

منهج التفسير بالمأثور :

ويعمل هذا المنهج الطبرى (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) الذى قدم لمنهجه بمقدمة علمية تكلم فيها عن وجوه مطالب التفسير كما يراها قال : ونحن قائلون فى البيان عن وجوه مطالب تأويله قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) [٤٤ النحل] وقال أيضاً جل ذكره : (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهُدًى ورحمة لقوم يؤمنون) [٦٤ النحل] وقال : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب » [٧ آل عمران] .

فقد تبين بيان الله جل ذكره :

(١) أن مما أنزل الله فى القرآن على نبيه ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وندبه وإرشاده وصنوف نبيه ووظائف حقوقه وجدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللزام بعض خلقه لبعض وما أشبه ذلك من إحكام آيه التى لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمتة . وهذا وجه لا يجوز لأحد

القول فيه لإبتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له بتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصها دالة أمته على تأويله .

(ب) وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فإن تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها إلا الخبر بأشراتها لاستثثار الله بعلم ذلك على خلقه .

(ج) وأن منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك إقامة إعرابه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها الموصوفات بصفات الخاصة دون ما سواها فإن ذلك لا يجمله أحد منهم (١) .

ثم يبين الطبرى أصدق وأوثق من يؤخذ عنه التفسير مما للعباد سبيل إلى تفسيره فيقول: أحق المفسرين بإصابة الحق فى تأويل القرآن الذى إلى علم تأويله للعباد السبيل أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه إما من وجه النقل المستفيض . أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبين من ذلك مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان إما بالشواهد من أشعارهم السائرة وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة (٢) .

١ - وما دام هناك تفسير عن الرسول فما عداه من تفاسير منبوذ وإن احتملها ظاهر الآية . . . عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرأيت قوله: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) فأين الثالثة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٥ : ٢٦ .

(٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢١ .

إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان هي الثالثة . . أسباط عن السدى في قوله
فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان إذا طلق واحدة أو اثنتين إما أن يمسه
ويعمسك أى يراجع بمعروف وإما سكت عنها حتى تنقضي عدتها فتكون أحق
بنفسها . . .

جوير عن الضحاك في قوله: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح
بإحسان) [٢٢٩ البقرة] قال يعنى تطليقتين بينهما مراجعة فأمر أن يمسه
أو يسرح بإحسان قال فإن هو طلقها ثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره،
وكان قائل هذا القول الذى ذكرناه عن السدى والضحاك ذهبوا إلى أن معنى
الكلام الطلاق مرتان فإمساك في كل واحدة منهما لمن بمعروف أو تسريح
لمن بإحسان . وهذا مذهب مما يحتمله ظاهر التنزيل لولا الخبر الذى ذكرته
عن النبي صلى الله عليه وسلم الذى رواه إسماعيل بن سميع عن أبي رزين فإن
اتباع الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من غيره^(١).

٢ - والطبرى حين يمتنع عليه توثيق رواية يلجأ إلى ظاهر الآية فيفسرها
تفسيراً ظاهراً مكشوفاً قريباً من الفهم وهو يفضل هذا التفسير الظاهر للآية
وإن احتملت الآية تفسيراً باطنياً . يقول في الآية: (كذلك يريهم الله أعمالهم
حسرات عليهم) . . . [١٦٧ البقرة] ثنا أسباط عن السدى كذلك يريهم
الله أعمالهم حسرات عليهم . زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم
فيها لو أنهم أطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم لو أطعتم الله ثم تقسم بين
المؤمنين فيرتونهم فذلك حين يندمون . . فالذى أولى بتأويل الآية ما دل عليه
الظاهر دون ما احتمله الباطن الذى لا دلالة على أنه المعنى بها والذى قال
السدى في ذلك وإن كان مذهباً تحتمله الآية فإنه مترع بعيد ولا أثر بأن
ذلك كما ذكر تقوم له حجة فيسلم لها ولا دلالة في ظاهر الآية أنه المراد بها
فإذا كان الأمر كذلك لم يحل ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل^(٢).

(١) تفسير الطبرى ج ٢ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢ ص ٤٤ و ٤٥ .

٣ - وهو يأتي في تفسيره الظاهري إلا أن يفسر اللفظة القرآنية تفسيراً لغوياً تعرفه العرب وقت نزول القرآن ولا يحمل اللفظة معاني جاء بها تطور الزمن . يقول في الآية : (وما جعلنا القبلة التي كنّت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) [البقرة ١٤٣] وقال بعضهم إنما قيل ذلك من أجل أن العرب تضع العلم مكان الرؤية والرؤية مكان العلم كما قال جل ذكره ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل فزعم أن معنى ألم تر . ألم تعلم وزعم أن معنى قوله إلا لتعلم بمعنى إلا لترى من يتبع الرسول وزعم أن قول القائل رأيت وعلمت وشهدت حروف تتعاقب فيوضع بعضها موضع بعض كما قال جرير بن عطية : كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم بمعنى كأنك لم تعلم لقيطاً لأن بين هلك لقيط وحاجب وزمان جرير ما لا يخفى بعده من المدة وذلك أن الذين ذكرهم هلكوا في الجاهلية وجرير كان بعد برهة مضت من مجيء الإسلام . وهذا تأويل بعيد من أجل أن الرؤية وإن استعملت في موضع العلم من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئاً فلا توجب رؤيته إياه علماً بأنه قد رآه إذا كان صحيح الفطرة فجاز من الوجه الذي أثبتته رؤية أن يضاف إليه إثباته إياه علماً وصح أن يدل بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك فليس ذلك وإن كان في الرؤية لما وصفنا بجائز في العلم فيدل بذكر الخبر عن العلم على الرؤية لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ويستحيل أن يرى شيئاً إلا علمه كما قدمنا البيان مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال علمت كذا بمعنى رأيت وإنما يجوز توجيه معاني في كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم من الكلام إلى ما كان موجوداً مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجوداً في كلامها فوجود في كلامها رأيت بمعنى علمت وغير موجود في كلامها علمت بمعنى رأيت فيجوز توجيه « إلا لتعلم » إلى معنى « إلا لترى » (١) .

٤ - غير أنه لا يفسر لغوياً إلا في نطاق التفسير الأثرى وهو بهذا يضاد

المتزع اللغوى الخالص . فهما كان للآية من مذهب لغوى فهو عنده مرفوض إن اصطدم بالتفسير الأثرى الموثق عنده . إذن الطبرى يعنى التفسير بالمأثور ويضعه فى الاعتبار الأول إن اصطدم بالتفسير اللغوى كما أن اللغويين يميلون إلى المذهب اللغوى إن اصطدم بتفسير المفسرين .

يقول الطبرى فى الآية: (وإن منها لما يهبط من خشية الله . .) [٧٤ البقرة]
 اختلف أهل النحو فى معنى هبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله . فقال بعضهم : إن هبوط ما هبط منها من خشية الله تفيؤ ظلاله . وقال آخرون : ذلك الجبل الذى صار دكاً إذ تجلى له ربه . وقال بعضهم : ذلك كان منه ويكون بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم فعقل طاعة الله فأطاعه كالذى روى عن الجذع كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب فلما تحول عنه حن . وكالذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن حجراً كان يسلم على فى الجاهلية إني لأعرفه الآن . وقال آخرون بل قوله يهبط من خشية الله كقوله جداراً يريد أن ينقض ولا إرادة له قالوا وإنما يريد بذلك أنه من عظم أمر الله يرى كأنه هابط خاشع من ذل خشية الله كما قال زيد الخيل :

بجمع تضل البلق فى حجراته ترى الأكم فيها سجداً للحوافر
 وكما قال سويد بن أبى كاهل يصف عدواً له يريد أنه ذليل :
 صاحب المنخر إذ يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع
 وكما قال جرير بن عطية :

لما أتى خبر الرسول تضعضعت سور المدينة والجبال الخشع
 وقال آخرون : معنى قوله يهبط من خشية الله أى يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه كما قيل . ناقة تاجرة إذا كانت من نجابتها ونزاهتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية :

وأعور من نهان أما النهار فأعمى وأما ليله فبصير
 فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد بذلك صاحبه النهانى الذى يهجو
 من أجل أنه فهما كان ما وصفه به .

ذلك من أعضائها ولا يضر الجهل بأى ذلك ضربوا القتل بعد ذبحها فأحياء الله^(١) .
مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياء الله^(١) .

إن المرتبة الأولى عند الطبرى للنقل الصحيح فروايات التفسير النقلية عنده
أولا وقبل أى تفسير آخر مهما صح . والمرتبة الأولى عند الزمخشري للعقل يخضع
معنى الآى بمنطقه لما يعتقده من معان اعتزالية ثم يستعين النقل بعدئذ فى تقوية
المعنى الذى ارتآه لتفسير الآيات . وإذا لم يجد الطبرى التفسير الأثرى الصحيح
فهو يفسر لغوياً بمعان عرفتها العرب فى منطق كلامها ولا يحاول أن ينحل اللفظة
معانى لم تعرفها العرب فى منطق كلامها عند نزول القرآن عليها – على عكس
الزمخشري – ثم هو لا يتأول لمعنى الآى أو يفسرها تفسيراً باطنياً عقلياً فإن
ذلك المنحى منحى الزمخشري . وبينما يقف الطبرى من روايات التفسير النقلية
موقفاً عقلياً ناقداً للروايات ناخلاً للنقول فإن الزمخشري يتسمح بكل نقل لا يضار
رأياً اعتزالياً أو يعارض أصلاً كلامياً .

وهكذا نجد أنه بينما كان اللغويون يعرضون القرآن أسلوبه ولغته على كلام
العرب ويغلبونه هذا المنحى اللغوى فى التفسير على تفسير المفسرين كان المتأولون
إما عقليون كالزمخشري يحملون معنى الآى ما لا يحتمل بتشقيق المعنى عقلياً
وإخضاعه لمذاهبهم الكلامية وإما وجدانيون يفيضون من عاطفة حبهم ووجدهم
على الآى فيحملون معانيها أيضاً ما لا تدل عليه . وبينما نجد القمصيين يحاولون
فض سر كل إشارة أو لمحة فى القرآن والإحاطة بتفصيل ما فيه كله والتسمح بكل
خبر أو رواية فى سبيل ذلك إذا بأهل الأثر لا يعترفون إلا بالآثار الصحيحة أولاً
فإن لم يوجد الأثر الصحيح المقطوع به فسروا تفسيراً لغوياً قريباً .

(١) تفسير الطبرى ج ٢ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ وأمثلة أخرى ج ١ ص ٤١٤ آية (وإذ ابتل

إبراهيم ربه بكلمات) ج ٢ ص ١٩ . الخ

ووقفنا بعد عند :

مبحث الزمخشري في بيان إعجاز القرآن :

رأينا في فصل الإعجاز كيف أن العرب - مصدقين ومكذابين - منذ نزل القرآن فيهم كانوا يدركون صفة الإعجاز في هذا الكتاب الإلهي ويحسون صنيعة في نفوسهم واستيلائه على مواطن إعجابهم وفتنتهم وملكه لإحساسهم ، فلما كانت حركة الفتح الإسلامي تعرض الكتاب العربي لحركة طعن وتشكيك مما دعا إلى الدفاع عنه وبمبحث قضية الإعجاز بحثاً علمياً منظماً دار حول قطبين : إما أنه معجز بنظمه أو معجز بالصرفه . أو هو معجز بكليهما معاً وتشعب رأى القائلين بالإعجاز في النظم فقال بعض : هو معجز بفصاحة ألفاظه المنظومة . وقال بعض آخر : بل هو معجز بأحكام معاني النحو الحادثة من تأليف الكلم ونظمه ، وقد تابع الزمخشري هذا الرأي الأخير وعالجه على نطاق واسع في تفسيره يشمل سور القرآن جميعها فوقفنا على مزية نظم القرآن من ناحية الجمال الحادث عن أحكام معاني النحو وتنبه إلى إichاءات الألفاظ وما تلقيه من ظلال معنوية ونفسية استجلى جمالها وعرض للألفة النفسية والمعنوية بين الألفاظ المنظومة . وحلل جمالياً المعاني النفسية الكامنة وراء النظم في أي نظر إليها كوحدة معنوية واستعان ثقافته في تحليله الجمالي هذا للآي .

والزمخشري في معالجته الجمالية لصور البيان القرآني أخضع هذه المعالجة لرأى المعتزلة اللغوي في أن معظم اللغة مجاز - على خلاف السنية - ثم عرض لصور من البيان القرآني تتبع مزاياها الجمالية - إلا أننا رأيناه في أسلوب المجاز القرآني يفرضه ويبسط معناه ولا يبحث فيه من الناحية الجمالية إذ الناحية العقديّة مستأثرة باهتمامه تدفعه إلى أن يشكل معنى النص وفق الرأي الاعتزالي . ثم تأثر الزمخشري عبد القاهر رأيه في أن اللفظ خادم للمعنى وأنه قشر والمعنى اللب ولهذا لم يعرض إلا لثلاث صور من صور البديع لم يوقفه عندها إلا

جمالها المعنوي أولاً . ورأى الزمخشري أن في القرآن بليغاً وأبلغ وهذا نوع من الإحساس الفني لم يشيع القول فيه ولكنه ألع ولم يفصل . . .

• • •

وبعد فالزمخشري إن وهو يفسر وإن وهو يبحث الإعجاز القرآني فقد كانت شخصيته الاعتزالية واضحة بينة تطالعنا في التفسير كما تطالعنا في البحث الجمالي لآي القرآن . وهذه الناحية إن عدت من سيئات الزمخشري عند قوم فهي من الوجهة العلمية الخالصة تم عن أصالة ورسوخ قدم في البحث الكلاسي فقد عرف الزمخشري كيف يسخر أدواته الثقافية في خدمة رأيه الاعتزالي سواء في فهمه للقرآن أو في تذوقه لجماله .

وأكبر ما يوجه إلى منهجه من نقد هو أنه لم يعرف حدود العقل فحكّمه في كل مجال من مجالات الدين ، وتلك بطبيعتها تقتضى الإيمان بالغيب ، والتسامح المطمئن مع التحكيم الواعي للعقل فيما له مجال في ارتياده . أما مبحثه في الإعجاز القرآني فقد كان يساير ما اتسم به البحث البلاغي على مدى العصور وهو النظرة الجزئية إلى العبارة أو العبارتين في النص الأدبي لا تعدوه إلى العمل الأدبي كله ، حقاً قد ظفر الزمخشري بنتائج ذات بال من وثقاته الجمالية القصيرة ولكن ما كان يفيد من تحليل للنص القرآني كاملاً كان يصل به إلى نتائج أكثر قيمة ، ولهذا فلن نتوقع مثلاً أن يفرد باباً للتشبيه في القرآن أو لأمثال القرآن أو للقسم فيه أو للاستعارة القرآنية أو لأدب الجدل أو لغير ذلك من مباحث ترتاد الميادين الأدبية أو النفسية في القرآن . ومع ذلك كله فما نجده عند الزمخشري من مباحث جمالية هي غاية ما وصل إليه الدرس البياني في عصره محدوداً بما كان له من طاقات وما أوتيته من أسباب .

المصادر الأساسية

- ١ - الآثار الباقية للبيروني محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي المتوفى سنة ٤٤٠ هـ . نشره إدوارد ساشو . مطبعة ليزج سنة ١٩٢٣ م .
- ٢ - التذكار في أفضل الأذكار لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ط . المعارف العلمية ١٣٥٤ هـ .
- ٣ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشاسي المقدسي المعروف بالبشاري . الطبعة الثانية ليدن سنة ١٩٠٦ م .
- ٤ - أساس البلاغة لمحمود بن عمر الزنجشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . طبعة دار الكتب سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢ م
- ٥ - أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزنجشري . مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ (واستشهدت مرة واحدة بنسخة طبعة أوربا نشرها باريه دي مينارد)
- ٦ - إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) مطبعة السلفية سنة ١٣٤٩ هـ بالقاهرة .
- ٧ - أعجب العجب في شرح لامية العرب لمحمود بن عمر الزنجشري . الطبعة الثالثة سنة ١٣٢٨ هـ . مطبعة محمد مطر الوراق بمصر .
- ٨ - الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد لأبي الحسين الخياط المتوفى سنة ٢٩٠ هـ . ط ١٩٢٥ م نشرة نيرج
- ٩ - الانتصاف من الكشاف لأحمد بن المنير الإسكندري المتوفى سنة ٦٨٣ هـ على هامش تفسير الكشاف . الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٠٧ هـ .
- ١٠ - الإيمان . تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ . طبع بمطبعة السعادة .
- ١١ - بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م . مطبعة دار التأليف .

- ١٢- تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهاني اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البندراي الأصفهاني مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٨ هـ = ١٩٠٠ م
- ١٣- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . طبعة كردستان العلمية سنة ١٣٢٦ هـ .
- ١٤- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة تأليف أبي المظفر الأسفراييني المتوفى ٤٧١ هـ مطبعة الأنوار الطبعة الأولى سنة ١٣٥٩ هـ = ١٩٤٠ م
- ١٥- تفسير جزء عم للشيخ أبي الحسن الرماني المتوفى سنة ٣٨٢ هـ . خط سنة ١٠٩٦ بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) تفسير .
- ١٦- تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن) الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .
- ١٧- تفسير القرآن العظيم لأبي سهل محمد بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٢٨٣ هـ . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م . بمطبعة السعادة .
- ١٨- الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ط . مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٣٨ م .
- ١٩- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ بتصحيح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الركزي الشنقيطي ونشره السيد محمد رشيد رضا الطبعة الثانية بمطبعة المنار سنة ١٣٣١ هـ .
- ٢٠- ديوان الأدب للزخشي . مخطوط بدار الكتب في ١١٩ ورقة تحت رقم (٥٢٩) أدب .
- ٢١- ربيع الأبرار للزخشي مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية وفي آخره نقله بخطه لنفسه عبد الواسع بن عبد الرحمن الفرسي وأتم مقابله على أمهاته سنة ١٠٩٧ هـ .

٢٢ - رسائل الجاحظ على هامش الكامل للمبرد اختيار الإمام عبيد الله بن حسان مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ مصر .

٢٣ - سر الفصاحة للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ الطبعة الأولى المطبعة الرحمانية ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م .

٢٤ - السيرة لابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ طبعة السقا سنة ١٩٣٦ م (أصل الكتاب لمحمد بن إسحق المتوفى سنة ١٥٢ هـ واختصره ابن هشام فنسب له) .

٢٥ - شرح مفصل الزنجشري لابن يعيش طبعة لبيزج سنة ١٨٨٦ م .

٢٦ - ضحى الإسلام لأحمد أمين الجزء الأول . الطبعة الثالثة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م . الجزء الثاني الطبعة الثالثة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م . والجزء الثالث

الطبعة الثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م .

٢٧ - العرائس للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ طبع المطبعة السعيدية بمصر بدون تاريخ .

٢٨ - الفائق في غريب الحديث للزنجشري . الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٤ هـ

٢٩ - في التصوف الإسلامي لنيكولسون . تعريب أبي العلا عفيفي مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

٣٠ - القرطين لابن قتيبة صنفه ابن مطرف الكنانى أو كتابى مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة . الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ جزءان مطبعة الخانجى .

٣١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزنجشري . الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٠٧ هـ

٣٢ - الحجاز في تفسير غريب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى كتبه عمر ابن يوسف من القرن الرابع مكتبة مراد ملة خط صورته بالجامعة العربية .

٣٣ - محاجات ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والأغلوطنات .
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢٦) مجاميع لمحمود بن عمر
الزخشرى في خمس وعشرين ورقة كتبه حسن بن على في اليوم الثاني
والعشرين من رجب سنة خمس وثمانين وألف هجرية بمدرسة حاجي
أوطه باشا .

٣٤ - المزهر لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .
طبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ (جزءان) .

٣٥ - المستقصى في أمثال العرب للزخشرى . مخطوط في ٣٣٥ صفحة تحت
رقم (٣٥٥) أدب بدار الكتب وفي نهايته علقه لنفسه وإن شاء الله من
بعده ... محمد بن عطية الجناز الطولونى الشافعى . . بتاريخ يوم
الاثنين المبارك السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمانية
وألف من الهجرة النبوية .

٣٦ - مشكل القرآن لابن قتيبة مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٦٣)
تفسير مكتوب في نهاية المخطوطة كتبه محمد بن أحمد بن يحيى رحمهما
الله في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وثلثمائة .

٣٧ - معانى القرآن للفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ من سورة الزمر إلى آخر القرآن .
مكتبة نور عثمانية وتاريخ النسخ من أول الرابع عدد الأوراق (١٥١)
مخطوط صورته الجامعة العربية .

٣٨ - معانى القرآن وإعرابه تأليف أبى إسحق إبراهيم بن السرى الزجاج المتوفى
سنة ٣١١ هـ خط . الجزء الرابع ويبتدئ بتفسير سورة يس وينتهى
إلى آخر تفسير سورة التين بآخره خط ابن برى محمد بن محمد بالتملك .
عدد الأوراق (٢٠١) وبآخره . وكتب أبو عبد الله الحسين بن كامل
ابن عبد الله البغدادى في شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانين وخمسمائة .
صورت المخطوط الجامعة العربية .

- ٣٩- المفرد والمؤلف للزنجشري بخط علي بن أحمد بن محمد الشهير بشمس الحيويني الحوارزمي سنة تسع وثمانين وسبعمائة وهو في خمس ورقات . خط بدار الكتب تحت رقم (١٥٩٢) لغة .
- ٤٠- مقالات الإسلاميين للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ . عنى بتصحيحه هـ . ريتر إستانبول مطبعة الدولة سنة ١٩٢٩ م .
- ٤١- مقامات الزنجشري . ط سنة ١٣١٢ هـ .
- ٤٢- مقدمة الأدب للزنجشري . طبع سنة ١٨٤٣ المسيحية في مدينة ليسان .
- ٤٣- مقدمة ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ . طبع المطبعة البهية المصرية .
- ٤٤- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية . ط . الترقى بدمشق سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م .
- ٤٥- الملل والنحل لابن أبي الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ . طبعة بولاق سنة ١٢٦٣ هـ . المطبعة العنانية .
- ٤٦- النكت في إعجاز القرآن العظيم تأليف الشيخ أبي الحسن الرماني . خط تحت رقم (٢٩٨) تفسير التيمورية بآخره . تمت هذه الرسالة بقلم . . . محمد أمين بن الشيخ عمر بن الشيخ الدنف الأنصاري خادم الحرم الشريف والمسجد الأقصى المنيف . . . ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ هـ .
- ٤٧- نوايع الكلم للزنجشري . الطبعة الأولى بالمطبعة الكلية سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م .

مصادر غير مباشرة

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الكتاب المقدس مطبعة جمعية التوراة البريطانية والأجنبية بكامبردج .
- ٣ - الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي . مطبعة حجازي بالقاهرة جزءان سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٤ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ طبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣١٨ هـ .
- ٥ - الإصابة لابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ طبعة كلكتة سنة ١٨٨٨ م
- ٦ - الأضداد لأبي حاتم المتوفى سنة ٢٥٠ هـ . (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد) نشرها الدكتور أوغست هفتر أستاذ العربية في كلية أنسبروك المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩١٢ م .
- ٧ - إعجاز القرآن للرافعي . ط مصر .
- ٨ - أمالي المرتضى (درر الفوائد و غرر القلائد) للشريف أبي القاسم علي ابن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ = ١٩٠٧ م مطبعة السعادة .
- ٩ - الأنساب للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ . طبعة ليدن سنة ١٩١٢ م .
- ١٠ - بغية الوعاة للسيوطي . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦ هـ . مطبعة السعادة .
- ١١ - البيان والتبيين للجاحظ . المطبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ .
- ١٢ - تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا المتوفى سنة ٨٧٩ هـ . نشره جوستاف فلوجل .
- ١٣ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي منذ تأسيس بغداد حتى تاريخ وفاة المؤلف سنة ٤٦٣ هـ مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩ هـ الموافق سنة ١٩٣١ م .
- ١٤ - تاريخ الكامل لعز الدين بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . طبعة الشيخ أحمد الحلبي ومحمد أفندي مصطفى سنة ١٣٠٣ هـ .

- ١٥ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد ابن حسين القمى النيسابورى على هامش تفسير الطبرى . الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ .
- ١٦ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر لإدارة الطباعة المنيرية .
- ١٧ - حجج القرآن لجميع أهل الملل والأديان لأبى الفضل الرازى (من أعيان القرن السابع) طبعة المطبعة والمكتبة المحمودية بمصر بدون تاريخ .
- ١٨ - حلية الأولياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . ط سنة ١٣٥١ هـ بمطبعة السعادة .
- ١٩ - خطط المقرئى تقي الدين أحمد بن على المتوفى سنة ٨٤٥ هـ طبعة دار الطباعة المصرية المنشأة ببولاق سنة ١٢٧٠ هـ .
- ٢٠ - دائرة المعارف الإسلامية . (مادة تفسير) بقلم أمين الخولى .
- ٢١ - رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار) . طبعة المطبعة الأهلية بباريس .
- ٢٢ - رسائل البلغاء نشرها كرد على . الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
- ٢٣ - الصناعتين لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . الطبعة الثانية مطبعة محمد على صبيح بمصر ..
- ٢٤ - الطبقات الكبير لابن سعد المتوفى عام ٢٣٠ هـ طبعة أوروبا .
- ٢٥ - طبقات المفسرين للسيوطى طبعة أوروبا . نشره فيشر .
- ٢٦ - الطراز ليحيى بن حمزة العلوى اليمنى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ طبع بمطبعة المقتطف فى مصر سنة ١٩١٤ م = ١٣٣٢ هـ فى ثلاثة أجزاء نشره سيد المرصنى .
- ٢٧ - الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق المتوفى سنة ٣٨٥ . المطبعة الرحمانية بمصر .
- ٢٨ - فهارس دار الكتب والمكتبة الأزهرية بالقاهرة .

- ٢٩ - كشف الظنون لحاجي خليفة . طبعة أوروبا .
- ٣٠ - مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط . طبعة المعارف سنة ١٣١٥ هـ .
جزءان في مجلد .
- ٣١ - المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء إسماعيل بن علي عماد الدين المتوفى
سنة ٧٣٢ هـ . بالمطبعة العامرة الشاهانية بالقسطنطينية سنة ١٢٨٦ هـ .
- ٣٢ - مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى لسيد أمير علي نقله إلى العربية
رياض رافت . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م .
- ٣٣ - المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن تأليف اجنتس جولدتسيهر ترجمة
علي حسن عبد القادر . مطبعة العلوم بالقاهرة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م .
- ٣٤ - مسند أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ . طبعة المعارف الطبعة الثالثة
سنة ١٣٦٨ هـ = سنة ١٩٤٩ م .
- ٣٥ - معجم الأدباء لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . من مطبوعات
دار المأمون بمصر . الطبعة الأخيرة نشرها الدكتور أحمد فريد رفاعي
(١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م) .
- ٣٦ - معجم البلدان لياقوت الحموى . طبعة أوروبا مطبعة ليزج سنة ١٨٧٣ هـ .
- ٣٧ - معجم سركيس للمطبوعات العربية . ط مصر .
- ٣٨ - معيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ نشره داؤود
ولهلم موهر من طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٨ م .
- ٣٩ - من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده للأستاذ محمد خلف الله أحمد .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٤٠ - المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لأحمد بن يحيى المرتضى
المتوفى سنة ٨٤٠ هـ . اعتنى بتصحيحه توما أرنولد . طبع مطبعة دائرة
المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٦ هـ .
- ٤١ - الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . المكتبة
العلمية سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م .

- ٤٢ — النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة لجمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م .
- ٤٣ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد الإمام أبو البركات كمال الدين الأنبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . طبع حجر سنة ١٢٩٤ هـ بالقاهرة .
- ٤٤ — النهاية لأبى السعادات ابن الأثير الجزرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ طبع المطبعة العثمانية بمصر ١٣١١ هـ .
- ٤٥ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للقاضى أحمد الشيرى باين خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ . مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٤٦ — يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الشعابى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى بالقاهرة .